﴿ثُمَّ كَانَ عَٰقِبَةَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔواْ ٱلسُّوٓأَىٰٓ أَن كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَكَانُواْ بِهَا يَسۡتَهۡزِءُونَ ١٠﴾ [الرّوم: 10]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قَبْلَها:

المناسبة بين موعظة أهل مكّة وإنذارهم من عاقبة التّكذيب والاستهزاء

في الآيات السّابقة موعظة لأهْل مَكَّة، وهنا إنْذارٌ بَعْدَ المَوْعِظَةِ، ونَصٌّ بَعْدَ القياسِ، فإنَّ اللَّه وعَظَ المُكَذِّبينَ لِلرَّسولِ ﷺ، بِعَواقِبِ الأُمَمِ الَّتي كَذَّبَتْ رُسُلَها، ليَكونوا عَلى حَذَرٍ مِن مِثْلِ تِلْكَ العاقبة، بحكم قياس التّمثيل[1]، لأنّهم استحقّوا الهلاك، وسلّط عليهم العذاب، عقوبةً لسوء أفعالهم، وكثرة ذنوبهم، وهو حاصل بما قدّمت أيديهم، دون ظلم ولا تجاوز لشروط استحقاق العذاب، ولا شكَّ أنَّ الاستهزاء والتّكذيب، يكون سببًا لأعظم العقوبات، وأعضل المُثُلات[2].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿ٱلسُّوٓأَىٰٓ﴾: أصلُ (سوء): القبحُ، والسّوأى: خلاف الحُسْنَى، والسّوأى: النّارُ[3]، وهي فُعْلى مِن السّوء، تأنيث الأسوأ، وهو الأقبح، وقيل: هي مصدرٌ بمنزلةِ الإساءةِ، وقيل: هي اسمٌ لجهنَّمَ، سمّيتْ سوأى؛ لِكَونِها تَسوءُ صاحِبَها، أو لقُبحِ منظرِها، أو هي عبارةٌ عن كلِّ ما يَقبحُ، والسّوءُ: كلُّ ما يغُمُّ الإنسانَ مِن الأمورِ الدُّنيويَّةِ والأُخرويَّةِ[4]، واَلسّوأى تأنيث الأسوأ، كالحُسنَى تأنيث الأحسن، أو هي مصدرٌ كالبُشرَى[5]، وعاقبة الّذين أساؤوا السّوأى، فالمرادُ

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 21/ 59.
(2) السّعديّ، تيسير الكريم الرّحمن في تفسير كلام المنّان، ص: 637.
(3) ابن منظور، لسان العرب: (سوأ).
(4) ابن فارس، مقاييس اللّغة، والرّاغب، المفردات: (سوأ)، وابن الهائم، التّبْيان في غريب القرآن، ص: 333.
(5) الشرتوني، أقرب الموارد في فُصَح العربيّة والشّوارد: 2/ 740.

بالذين أساؤوا: كلُّ مُسيءٍ من جنس تلك الإساءة، وهي الشّرك[1]، والمعنى: كان عاقبتُهم العقوبةَ الّتي هي أسْوَأ العقوبات.

2) ﴿يَسْتَهْزِءُونَ﴾: (هزأ) كَلِمَةٌ واحِدَةٌ، يُقالُ: هَزِئَ واسْتَهْزَأ، إذا سَخِرَ[2]، الهُزْوُ: الاسْتِخفاف، يقال: استهزأ به يستهزئ، أي اسْتَخَفَّ به، قال الرّاغب: الاستهزاءُ: ارتيادُ الهُزُؤِ، وإن كان قد يُعبَّر به عن تعاطي الهُزُؤِ، كالاستجابة في كونها ارتيادًا للإجابة، وإن كانت قد تجري مجرى الإجابة[3]، قال أبو عليّ عن الأصمعيّ: قال يونس: إذا قال الرّجل: هَزِئْتُ منك، فقد أخطأ، إنّما هو هَزِئْتُ بك، واستهزأت بك، وقال اللّيث: الهزء: السّخرية، يقال: هزئ به يهزأ به، واستهزأ به، ورجل هُزَأة، يهزأ بالنّاس، ورجل هزأة: يهزأ به[4]، والاستهزاء في قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾ [البقرة: 15]، صفةٌ فِعليَّةٌ ثابتةٌ للّه ﷻ؛ إذ قد يكون استهزاؤُه: استدراجُه لهم، وقيل: إيقاعُ استهزائهم، وردُّ خِداعِهم ومَكْرِهم عليهم، وقيل: إنَّه يُظهِرُ لهم في الدُّنيا خلافَ ما أبطَنَ في الآخِرةِ، وقيل: هو تجهيلُهم وتخطئتُهم فيما فعَلوه، وهذا كلُّه حقٌّ، وهو استهزاءٌ بهم حقيقةً[5].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

ذكر عاقبة السّوء، الّتي يؤول إليها المكذّبون المستهزئون

ثمَّ كان آخِرَ أمْرِ أهْلِ السّوءِ الّذين ساءت أعمالهم بالشِّرْك باللّه، وعَمَلِ السَّيِّئات، النِّهاية البالغة في السّوء، بِأنْ حَلَّ بِهِم عذابُ اللّه؛ لِتَكذيبِهم بآياتِ اللّهِ سُبحانَه، واستِهزائِهم المستَمِرّ بها[6]، وكانت العقبى سوأى؛ لارتكابهم أشدّ ألوان الإساءة،

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 21/ 59.
(2) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (هزأ).
(3) الرّاغِب، المفردات: (هزأ).
(4) الأزهريّ، تهذيب اللّغة: (هزأ).
(5) ابن تيمية، مجموع الفتاوى: 7/ 111، وابن القيّم في مختصر الصواعق، ص: 404.
(6) الزّجّاج، معاني القرآن: 4/ 179.

كونهم جحدوا بآيات الله، وكانوا يحقّرون من شأنها، ولا يرجون لله وقارا[1].

وترشدُ الآيةُ الكريمةُ إلى بيان جزاء الله العادل في أنّ عاقبة الإساءة السوأى، وإلى كفر الاستهزاء بالشرع وأحكامه والقرآن وآياته، وإلى أنَّ الكُفْرَ والتَّكْذيبَ قَدْ يُؤَدّي شُؤْمُهُ إلى شَقاءِ صاحِبِهِ، وسوءِ عاقِبَتِهِ[2].

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغيُّ:

معنى ﴿ثُمَّ﴾ في سياق الآية المحكم:

بيان أثر التّراخي في توجيه المعنى وترسيّته

الحرف ﴿ثُمَّ﴾، في قوله: ﴿ثُمَّ كَانَ عَٰقِبَةَ ٱلَّذِينَ أَسَـٰٓـُٔوا۟ ٱلسُّوٓأَىٰٓ﴾، للتَّراخي الرُّتْبيِّ؛ للتَّفاوت بين المعطوف والمعطوف عليه في المنزلة؛ حيثُ إنَّ هَذِهِ العاقِبَةَ أَشَدُّ سوءًا، وأعْظَمُ رُتْبَةً في العذاب من عَذابِ الدُّنْيا، وبناء عليه " فيَجوزُ أنْ يَكونَ هَذا الكَلامُ، تَذْييلًا لِحِكايَةِ ما حَلَّ بِالأُمَمِ السّالِفَة، مِن قَوْلِهِ ﴿كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾، والمَعْنى: ثُمَّ عاقِبَةُ كُلِّ مَن أساؤوا السّوأى مِثْلُهم، فيَكونُ تَعْريضًا بِالتَّهْديدِ لِمُشْرِكي العَرَب، كَقَوْلِهِ تَعالى: ﴿دَمَّرَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ ۖ وَلِلْكَـٰفِرِينَ أَمْثَـٰلُهَا ۝١٠﴾ [مُحَمَّد: 10]، فالمُرادُ بـ﴿ٱلَّذِينَ أَسَـٰٓـُٔوا۟﴾، كُلُّ مُسيءٍ مَن جِنْسِ تِلْكَ الإساءَةِ، وهي الشِّرْكُ.

ويَجوزُ أنْ يَكونَ إنْذارًا لِمُشْرِكي العَرَبِ المُتَحَدَّثِ عَنْهم، مِن قَوْلِهِ: ﴿وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ فيَكونوا المُرادَ بـ﴿ٱلَّذِينَ أَسَـٰٓـُٔوا۟﴾، ويَكونُ إظْهارًا في مَقامِ الإضْمارِ عَلى خِلافِ مُقْتَضى الظّاهِرِ لِقَصْدِ الإيماءِ بِالصِّلَةِ، أيْ أنَّ سَبَبَ عاقِبَتِهِمُ السّوأى، هو إساءَتُهم، وأصْلُ الكَلامِ: (ثُمَّ كانَ عاقِبَتَهُمُ السّوأى)"[3].

(1) لجنة من علماء الأزهر، المنتخب في تفسير القرآن الكريم، ص: 604.
(2) الشنقيطي، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن: 6/ 171، والجزائري، أيسر التفاسير: 4/ 163.
(3) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 21/ 60.

ويُفْهم مِن كلام البِقاعيّ إفادة ﴿ثُمَّ﴾ هُنا الاستبعاد، حيث قال: "ولَمّا كانَ انْتِكاسُهم بَعْدَ هَذِه الأسْبابِ المُسْعِدَةِ بَعيدًا، أشارَ إلَيْهِ بأداةِ التَّراخي، أوْ هي إشارَةٌ إلى تَطاوُلِ دُعاءِ الرُّسُلِ لَهم، واحْتِمالِهِمْ إيّاهم"[1]، ويجوز أن يكون التَّراخي على حقيقته في الزَّمان، والمعنى أنَّهم عوقِبوا في الدُّنيا بالتَّدمير، ثُم كانت عقوبتهم في الآخرة العقوبة السّوء[2].

عِلَّة التَّعبير بالكَوْن الماضي:

التَّنبيه على تَحَقُّق وقوع الجزاء، مبين للمقصود

أوْقَعَ فِعْلَ كانَ الماضي ﴿ثُمَّ كَانَ﴾ في مَوْقِعِ المُضارِعِ؛ لِلتَّنْبيهِ عَلى تَحْقيقِ وُقوعِه، مِثْلَ ﴿أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ﴾ [النّحل: 1] إتْمامًا لِلنِّذارَة[3]، وللإشارة إلى تَمَكُّنه، وتَعَذُّر الانْفِكاك عَنْه، وهو في غايَةِ الهَوْلِ، كَما أشارَ إلَيْهِ تَذْكيرُ الفِعْلِ[4].

سِرُّ العدول عن الإضمار إلى الإظهار:

الجزاء مِن جِنْس العَمَل، وكلٌّ مرهون بسعيه

في قوله تعالى: ﴿عَٰقِبَةَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔواْ ٱلسُّوٓأَىٰٓ﴾، عُدول عن الإضمار إلى الإظهار، حيث كان الظّاهر أن يقال: (ثُمَّ كان عاقبتهم السّوأى)؛ للتَّعميم، وللدّلالة على السَّبب، أي لتعليل الحُكْم مِن خلال صِلة الموصول، للدّلالة على ما اقتضى أن يكون تلك عاقبتهم، وأنّهم عوقبوا نتيجة أفعالهم، وهذا المعنى: أنّهم عوقبوا في الدُّنْيا بالدَّمار، ثمّ كانت عاقبتهم سوأى[5].

توجيه القراءتين في: ﴿عَٰقِبَةَ﴾:

بيان أنّ علّة تذكير الفِعْل؛ كون التّأنيث مجازيًّا

قوله: ﴿عَٰقِبَةَ ٱلَّذِينَ﴾ قرأ نافعٌ، وأبو جعفر وابنُ كثيرٍ، وأبو عمروٍ ويعقوب بالرّفع: ﴿عَٰقِبَةُ﴾، والباقون بالنّصب[6]، فالرَّفْع على أنَّها

(1) البقاعيّ، نَظْم الدُّرر: 15/ 53.
(2) القونوي، حاشية على تفسير البيضاوي: 15/ 109.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 21/ 60.
(4) البِقاعي، نَظْم الدُّرر: 15/ 53.
(5) الزَّمخشري، الكَشّاف: 4/ 567، وأبو حيّان البحر المُحيط: 7/ 160، والقونوي، حاشية على تفسير البيضاوي: 15/ 108.
(6) ابن الجزري، النشر في القراءات العشر: 2/ 344.

اسم كان، وخبرها لفظ ﴿ٱلسُّوٓأَىٰٓ﴾، أي: ثُمَّ كانت عاقبة هؤلاء الكافرين الّذين أساؤوا في دنياهم، أسوأ العقوبات، وأقبحها، أو كانت عاقبتهم العاقبة السّوأى، وهي الإلقاء بهم في النّار، وبِئْس القَرار[1]، وذُكِّر الفِعْل؛ لأنَّ التّأنيث مجازيّ.

دلالة حَذْف خَبَر المصدر المؤوّل:

قوله: ﴿أَن كَذَّبُواْ﴾، خبر لمحذوف، تقديره: (وإساءتهم أن كَذَبوا)، فهي جملة مستأنفة لبيان صِلة الموصول، وهذا سِرُّ فصْلها عَمّا قَبْلَها، فالفصل لِكمال الاتِّصال.

مَنْ يزرع الجروح، لايجنِ إلّا الآلام والقروح

و جملة ﴿أَن كَذَّبُواْ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ﴾، عِلَّةٌ لِما أُشيرَ إلَيْهِ من تَعْذيبِهِمُ الدُّنْيَويِّ والأُخْرَويِّ، أيْ: لِأنْ كَذَّبوا، أوْ بِأنْ كَذَّبوا بِآياتِ اللهِ المُنَزَّلَةِ عَلى رُسُلِهِ عَلَيْهِمُ الصَّلاةُ والسَّلامُ، ومُعْجِزاتِهِ الظّاهِرَةِ عَلى أيْديهِمْ[2]، ولا شكّ أنّ تعطيل ثمار التّفكير الصّحيح، منوط بالرّكون إلى الأرض، والخلود إلى الضّلال، حيث يكون السّمع في صمم، والقلب في عَمَهٍ؛ بسبب انتهاجه منهج الكفر الصُّراح، وتقليد عتاة الآباء وجبابرة الأجداد، في ضلالهم البَواح، ومن يزرع الشّوك، يجن الجراح.

توجيه ﴿ٱلسُّوٓأَىٰٓ﴾ ودلالتها في السّياق:

أثر الجناس الاشتقاقيّ، في تعليل العقوبة

﴿ٱلسُّوٓأَىٰٓ﴾ في قوله: ﴿ٱلَّذِينَ أَسَـٰٓـُٔواْ ٱلسُّوٓأَىٰٓ﴾، لها أكثر مِن توجيه: فيَجوزُ أنْ تَكونَ ﴿ٱلسُّوٓأَىٰٓ﴾ مَصْدَرًا عَلى وزْنِ فُعْلى، كالرُّجْعى، وتَكونُ خَبَرًا أيْضًا، ويَجوزُ أنْ تَكونَ مَفْعولًا بِـ: (أساءَ) بِمَعْنى اقْتَرَفوا، وصِفَةَ مَصْدَرٍ مَحْذوفٍ، أي: الإساءَةَ السّوأى، ويَكونُ خَبَرُ كانَ قوله: ﴿أَن كَذَّبُواْ﴾[3]، وسُمِّيَتْ سوأى لِكَوْنِها تَسوءُ صاحِبَها، أي الحالَةُ الَّتي

(1) طنطاويّ، التَّفسير الوسيط: 11/ 71.
(2) البَيْضاوي، أنوار التَّنزيل: 4/ 203.
(3) أبو حَيّان، البحر المحيط: 7/ 160.

هي أسْوَأُ ما يَكونُ، وهي خَسارَةُ الأنْفُسِ بالدَّمارِ في الدُّنْيا والخُلودِ في العَذابِ في الأُخْرى، جَزاءً لَهم بِجِنْسِ عَمَلِهِم، فإنَّهم كَما أساؤوا الرُّسُلَ ساءَهُمُ المَلِكُ[1]، وقد وُصِفَت بِهِ العُقوبَةُ بالسّوأى؛ مُبالَغَةً كَأنَّها نَفْسُ السّوأى.

معنى (أل) في ﴿ٱلسُّوٓأَىٰٓ﴾:

نـار الجحيم، أسوأ السّوأى، مـن الـعـذاب الأليم

و(أل) في قوله تعالى: ﴿ٱلسُّوٓأَىٰٓ﴾ للاستغراق؛ للإيحاء بأنَّ عقوبتهم شَمَلت السّوء كُلَّه، أي: العُقوبَةُ الَّتي هي أسْوَأُ العُقوباتِ، وأفْظَعُها، والَّتي هي العُقوبَةُ بِالنّارِ، وفيه زيادة ترهيب وتهديد وتخويف، بمعنى أنَّ: "عاقبة هؤلاء الكافرين الّذين أساؤوا في دنياهم، أسوأ العقوبات وأقبحها، أو كانت عاقبتهم العاقبة السّوأى، وهي الإلقاء بهم في النّار، وبئس القرار"[2].

بديع الجناس الاشتقاقيّ، في السّياق المحكم:

تماثل الكلمات، يحقّق تناغمًا بـديـعًـا في الأصوات

أعْطى الجِناس الاشتقاقيّ في ﴿أَسَـٰٓـُٔوا۟ ٱلسُّوٓأَىٰٓ﴾ جَرْسًا موسيقيًّا؛ لكونه حاصلًا من اتفاق اللفظتين في الاشتقاق في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ أَسَـٰٓـُٔوا۟ ٱلسُّوٓأَىٰٓ﴾، فلفظ ﴿أَسَـٰٓـُٔوا۟﴾ ولفظ ﴿ٱلسُّوٓأَىٰٓ﴾ مشتقان من مادة لغوية واحدة، وأطلق عليه علماء البلاغة اسم الجناس المطلق؛ لتلاقي اللفظين في الاشتقاق، وأوْمَأ إلى أنَّ الجزاء مِن جِنْس العمل، ومِن مَعْدِنه، فهُم عوقِبوا بالجزاء السّوء؛ لارتكابهم الفعل السّوء، وهذا ما دَلَّ عليه توافق الحروف في الكلمتين المُتماثلتين، ﴿أَسَـٰٓـُٔوا۟﴾، و﴿ٱلسُّوٓأَىٰٓ﴾.

توجيهُ الاختلاف بين ﴿أَسَـٰٓـُٔوا۟ ٱلسُّوٓأَىٰٓ﴾ و﴿أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ﴾:

وضع اللّفظ في موضعه الملائم، من بلاغة النّظم القرآنيّ المحكم

توجيه الاختلاف في النَّظم بين قوله تعالى في وصْف جزاء المُسيئين: ﴿ثُمَّ كَانَ عَٰقِبَةَ ٱلَّذِينَ أَسَـٰٓـُٔوا۟ ٱلسُّوٓأَىٰٓ أَن كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ

(1) ابن جُزَي، التَّسهيل: 2/ 165، والبِقاعي، نَظْم الدُّرَر: 15/ 53، وشيخ زاده، حاشية على تفسير البيضاويّ: 6/ 531.

(2) طنطاويّ، التّفسير الوسيط للقرآن الكريم: 11/ 71.

وَكَانُواْ بِهَا يَسۡتَهۡزِءُونَ﴾، وقوله في وصف جزاء المُحسنين: ﴿۞لِّلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ ٱلۡحُسۡنَىٰ﴾ [يونس: 26]، نلخّصه في النّقاط التّالية:

أوّلا: قال تعالى في حَقِّ الّذينَ أحسَنوا: ﴿۞لِّلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ ٱلۡحُسۡنَىٰ﴾ [يونس: 26]، وقالَ في حَقِّ مَن أساءَ: ﴿ثُمَّ كَانَ عَٰقِبَةَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔواْ ٱلسُّوٓأَىٰٓ﴾، إشارَةٌ إلى أنَّ الجَنَّةَ لَهم مِنَ ابْتِداءِ الأمْرِ، فإنَّ الحُسْنى اسْمُ الجَنَّةِ، والسّوأى اسْمُ النّارِ، فإذا كانَتِ الجَنَّةُ لَهم ومِن الابْتِداءِ، ومَن لَهُ شَيْءٌ كُلَّما يَزْدادُ ويَنْمو فيهِ، فهو لَهُ؛ لِأنَّ مِلْكَ الأصْلِ يوجِبُ مِلْكَ الثَّمَرَةِ، فالجَنَّةُ مِن حَيْثُ خُلِقَتْ تَرْبو وتَنْمو لِلْمُحْسِنينَ، وأمّا الَّذينَ أساؤوا، فالسّوأى، وهي جَهَنَّمُ في العاقِبَةِ مَصيرُهم إلَيْها.

الثّاني: ذَكَرَ الزِّيادَةَ في حَقِّ المُحْسِنِ ولَمْ يَذْكُرِ الزِّيادَةَ في حَقِّ المُسيءِ؛ لِأنَّ جَزاءَ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُها.

الثّالِثُ: لَمْ يَذْكُرْ تعليل جزاء المُحْسِن، حيث لَم يَقُل: أنَّ لَهُ الحُسْنى بِأنَّهُ صَدَّقَ، وذَكَرَ التَّعليل في جزاء المُسيءِ، بِأنَّ لَهُ السّوأى، لأنَّه كَذَّبَ، والسِّرُّ هوَ لِأنَّ الحُسْنى لِلْمُحْسِنينَ فضْلٌ، والمُتَفَضِّلُ لَوْ لَمْ يَكُنْ تَفَضُّلُهُ لِسَبَبٍ يَكونُ أبْلَغَ، وأمّا السّوأى لِلْمُسيءِ عَدْلٌ، والعادِلُ إذا لَمْ يَكُنْ تَعْذيبُهُ لِسَبَبٍ لا يَكونُ عَدْلًا، فذَكَرَ السَّبَبَ في التَّعْذيبِ، وهو الإصْرارُ عَلى التَّكْذيبِ، ولَمْ يَذْكُرِ السَّبَبَ في الثَّوابِ[1].

معنى ﴿أَن﴾ في قوله: ﴿أَن كَذَّبُواْ﴾:

﴿أَن﴾ مُفَسِّرَةً؛ لِأنَّ الإساءَةَ إذا كانَتْ مُفَسَّرَةً بِالتَّكْذيبِ والِاسْتِهْزاءِ، كانَتْ مُتَضَمِّنَةً مَعْنى القَوْلِ[2]، أو ﴿أَن كَذَّبُواْ﴾ عَطْف بيان أو بَدل إن اعتُبر ﴿ٱلسُّوٓأَىٰٓ﴾ مفعول ﴿أَسَٰٓـُٔواْ﴾، و﴿ٱلسُّوٓأَىٰٓ﴾ هي العقوبة المتناهية في السّوء، وهي النّار الّتي لا أسوأ منها، وسوف تكون عاقبةَ المسيئين الكفرة، الّذين ناوؤوا الحقّ، وكذّبوا بالدّين[3].

التّكذيب والاستهزاء، كلاهما مَظْهَر للإساءة المفضية للسّوأى

(1) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 25/ 102.
(2) البيضاويّ، أنوار التّنزيل: 4/ 203.
(3) أسعد حومد، أيسر التّفاسير، ص: 3301.

دلالة حَذْف خَبَر الكون:

الحذف مفيد في فسح المجال للتّأويل

على القول بأنَّ الخَبَرُ مَحْذوفٌ لِلْإبْهام والتَّهْويلِ، يكون المعنى: ثُمَّ كان عاقبة الّذين اقترفوا الخَطيئة السَّوْأى، مِمّا لا يُسْأل عنه، ولا يُكْتَنه كُنْهُه، ولا يُقادَر قَدْرُه في الشِّدَّة والفَظاعة[1].

غرضُ الإضافة في قوله: ﴿بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾:

تهديد المتجاسرين على الاستهزاء، بآيات الله تعالى

دلَّت إضافة الآيات إلى لَفْظ الجَلالة في قوله: ﴿بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ على زيادة ترهيب وتهديد لهؤلاء المُكَذِّبين الذين تجاسروا على التَّكذيب والاستهزاء بـ" الدَّلالاتِ المَنسوبَةِ إلى المَلِكِ الأعْلى الَّذي لَهُ الكَمالُ كُلُّهُ الدّالَّةُ عَلَيْهِ عَلى عِظَمِها بِعِظَمِه"[2].

لطيفة تنوع المراد بقوله ﴿بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾:

من نبذ الآيات آل إلى سوء وهلاك

في المُراد بالآيات ثَلاثَةُ أوْجُه: أحَدُها: بِمُحَمَّدٍ ﷺ والقُرْآنِ، قالَهُ الكَلْبيُّ، والثّاني: بِالعَذابِ أنْ يَنْزِلَ بِهِمْ، قالَهُ مُقاتِلٌ، والثّالِثُ: بِمُعْجِزاتِ الرُّسُلِ، قالَهُ الضَّحّاكُ[3]، والآيات تشملُ الآيات الكونية والشرعية التي أنزلها اللّهُ لدعوة المنكرين للبعث الآخر، إلى الإيمان به، من طريق ذكر الأدلّة العقليّة التّي تحملها الآيات القرآنيّة، وهي آيات تدعو للتّفكُّر والتّدبّر، ونبذ الكفر والاستهزاء والتّكذيب، ولكنّ واقع الدّعوة أفاد أنّ الأقوام، في كلّ العصور، آثروا الظّلمات على النّور.

سِرُّ التَّعبير بالكَوْن الماضي ﴿وَكَانُوا۟﴾:

بيان وصفهم بالعناد والتّكذيب، والاستهزاء الريب

الواو في ﴿وَكَانُوا۟﴾ حاليّة، أي: والحال أنَّهم كانوا بها يستهزؤون، وعُبِّر بالكَوْن الماضي؛ للإشارة إلى أنَّه كَوْنٌ جِبِلَّةٌ لَهُم، راسِخ فيهم، ومُتَمَكِّنٌ منهم، ولذلك كانت عاقبة أهل السّوء من الطّغاة والكفرة، أسوأ العواقب وأقبَحَها؛ لتكذيبهم باللّه، وسخريتهم بآياته الّتي

(1) شيخ زاده، حاشية على تفسير البيضاويّ: 6/ 532.
(2) البِقاعيّ، نَظْم الدُّرَر: 15/ 53.
(3) الماورديّ، النُّكَت والعيون: 4/ 301.

أنزلها على رسله[1]، وذلك ما كان بالفعل أمرًا واقعًا، ذكره المؤرّخون، وفصَّلَتْه كتب التّاريخ والتّراجم والسّير.

دلالة علاقة ﴿وَكَانُواْ بِهَا يَسْتَهْزِءُونَ﴾ بما قَبْلها:

قوله: ﴿وَكَانُواْ بِهَا يَسْتَهْزِءُونَ﴾ عَطْفٌ عَلى كَذَّبوا، داخِلٌ مَعَهُ في حُكْمِ العِلِّيَّةِ[2].

الاستهزاء أسلوب يُسفِر عن طوايا المنكرين وكفرهم

والاستهزاء لا ينفكُّ عن التّكذيب، وهو لون من ألوان الإنكار، إلّا أنّه يُغلَّف بعبارات الاستهزاء، لتلبيس الحقّ بالباطل، ومن ذلك قولهم: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِى نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ ۝٦﴾ [الحجر: 6]، وذلك على وجهِ التَّهَكُّم والاستهزاءِ منهم به، كما قالَ فِرْعَوْنُ: ﴿إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِىٓ أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ۝٢٧﴾ [الشعراء: 27]، والواقع أنّهم لا يُقِرّونَ بنزولِ الذِّكْرِ على النّبيّ ﷺ، ولا فرعون يقرّ لموسى بأنّه رسول، ولكنّ العبارتين على سبيل الاستهزاء من الطّرفين.

عِلَّة تقديم الجارّ والمجرور على الفعل:

بيان اندفاعهم نَحْو الاستهزاء، بلا تعقّل ولا تؤَدَة

الباء في قوله: ﴿وَكَانُواْ بِهَا يَسْتَهْزِءُونَ﴾، لِلتَّعْدِيَةِ، ومَعَ كَوْنِ تلك الآيات أبْعَدَ شَيْءٍ عَنِ الهُزْءِ لكنَّهم يَبْذلون جُهْدهم في تحصيله، كَما يَدُلُّ عَلَيه زيادة السّين والتّاء في ﴿يَسْتَهْزِءُونَ﴾، وتَقْديمُ المَجْرورِ لِلاهْتِمامِ بِشَأْنِ الآياتِ، ولِلرِّعايَةِ عَلى الفاصِلَةِ[3].

نكتةُ التّعبير بمضارع الاستهزاء:

الاستمرار في الاستهزاء، بعزم وإصرار

إيرادُ الاسْتِهْزاءِ بِصيغَةِ المُضارِعِ في قولِه: ﴿وَكَانُواْ بِهَا يَسْتَهْزِءُونَ﴾؛ لِلدِّلالَةِ عَلى اسْتِمْرارِهِ بِتَجْديدِهِ في كُلِّ حينٍ مَعَ تَعْظيمِهِ حَتّى كانَ اسْتِهْزاؤُهم بِغَيْرِها كَأنَّهُ عَدَمٌ، كَما أنَّكم أنْتُمْ تُكَذِّبونَ بِما وقَعَ مِنَ الوَعْدِ في أمْرِ الرّومِ وتَسْتَهْزِئونَ بِهِ، فاحْذَروا

(1) نخبة من العلماء، التفسير الميسر، ص: 405.
(2) القنوجي، فَتْح البيان: 10/ 411.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 25/ 60.

أنْ يَحِـلَّ بِكم ما حَلَّ بِالأوَّلينَ، ثُمَّ تُرَدّونَ إلَيْهِ سُـبْحانَهُ فيُعَذِّبُكُمُ العَذابَ الأكْبَرَ[1].

❁ الفُروقُ المُعْجَميَّةُ:

الإساءَة والسّوء:

الإسـاءَةُ فِعْـلُ المُسيءِ، والسّوءُ الـفِـعْـلُ مِـمّـا يَسوءُ

ساءَهُ يَسوؤه سَوْءًا: فعَلَ بِهِ ما يَكْرَهُ، نَقيضُ سَرَّه، والاسْمُ: السّوءُ بالضّمّ[2]، وسَوْأ: الْقُبْح، تَقولُ رَجُلٌ أسْوَأُ، أيْ قَبيحٌ، وامْرَأةٌ سَوْآءُ، أيْ قَبيحَةٌ، لذا سُمّيَتِ السَّيِّئَةُ سَيِّئَةً، وسُمّيَتِ النّارُ سوأى، لِقُبْحِ مَنْظَرِها[3]، والسَّيِّئَة: الفِعْلَة القبيحة، صَفَةٌ في الأصْل جَرَت مَجْرى الجامِد كالحَسَنة[4].

وَفي الفَرْقِ بَيْنَ الإساءَةِ والسّوءِ وجْهانِ: أحَدُهُما: أنَّ الإساءَةَ إنْفاقُ العُمْرِ في الباطِلِ، والسّوءَ إنْفاقُ رِزْقِهِ في المَعاصي، الثّاني: أنَّ الإساءَةَ فِعْلُ المُسيءِ، والسّوءَ الفِعْلُ مِمّا يَسوءُ[5].

السُّخرية والاستهزاء:

يـشـتـرك لـفـظـا الـسُّـخـريـة والاسـتـهـزاء، في الـدّلالـة على الهَوان والتَّحقير

أصْل السُّخْرية في اللُّغَة: التَّسْخير، ويعود سياقه إلى ما أراده المُسَخّر كُرْهًا وغَصْبًا، وعَرّفها الغزالي: "بأنّها الاستهانة والتَّحقير، والتَّنبيه على العيوب والنَّقائص على وجْه يُضْحِك الآخرين منه، وقد يكون بالقول أو الفعل أو الإشارة والإيماء"[6].

وأصْل مادَّة هَزِئَ الخِفَّة، مأخوذ مِن قولهم: هَزأت به ناقته، أي: أسرَعت؛ وذلك لأنَّ المُستَهْزئ غرضه الذي يَقْصده هو طَلَب الخِفَّة والزِّراية بِمَن يَهزأ به، وإدخال الهَوان والحَقارة عليه[7]، وفي

(1) البِقاعيّ، نَظْم الدُّرَر: 15/ 53.
(2) ابن منظور، لسان العرب: (سوأ).
(3) ابن فارس، مقاييس اللُّغة: (سوأ).
(4) السَّمين الحلبي، عمدة الحُفّاظ: (سوأ).
(5) الماورديّ، النُّكَت والعيون: 4/ 301.
(6) الغزّالي، إحياء علوم الدّين: 1/ 348.
(7) الزَّمخشريّ، الكَشّاف: 1/ 186.

الاصطلاح الشَّرْعي: هو السُّخْرية مِنْ أمْرٍ لا يَقْتَضي السُّخْرية مِنْه، وتتميَّز السُّخرية بالشِّدَّة، ووجود سَبَب يَتَطَلَّبها، ويتميَّز الاستهزاء بأنَّه لا يقتضي وجود سَبَب يدعو إليه، وإنَّما هو إلصاق للعَيْب والذَّم بِمَن لا يستحقُّه حَسَدًا أو حِقْدًا[1]، والفَرْق بَيْنَ السُّخْرية والاستهزاء: يُفرّق بين السخرية والاستهزاء وفْق ما يكون الدّافع لكلّ منهما، فإن كان الدّافع للقيام به مذلّة الطّرف الآخر فهو السّخريّة؛ لأنّ الأصل في التّسخير هو التّذليل، وإن كان الدّافع له مُجَرّد التَّقْليل مِن شَأْن الطَّرَف المُقابل، فهو الاستهزاء[2].

(1) داود، معجم الفروق الدِّلاليَّة في القرآن الكريم، ص: 286.
(2) مجموعة مِن المُؤَلِّفين، موسوعة الأخلاق الإسلاميَّة: 2/ 290.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثالث والأربعون،
سورة الرّوم من الآية 08 إلى سورة لقمان الآية 20
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الثالث والأربعون، سورة الرّوم من الآية 08 إلى سورة لقمان الآية 20
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 43 ، 816 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-732-94-5
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 43 : المجلد الثالث والأربعون، سورة الرّوم من الآية 08 إلى سورة لقمان الآية 20.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-732-94-5
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-9381682 بتاريخ 2024/12/31م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»